ثورة العشرين في مذكرات زعماء الثورة ورجالها "الأسباب والنتائج" ـ نقد وإعادة بناء ـ

م. د. حيدر علي خلف جودة العكيلي
وزارة التربية/ مديرية تربية ذي قار

م. د. محمد حموز لفته الغانمي
وزارة التربية / مديرية تربية الديوانية

م. د. محمد جابر عناد العبودي
وزارة التربية/ مديرية تربية ذي قار

مستخلص البحث:

بعد أن أسفرت التسويات السياسية عقب الحرب العالمية الأولى عن فرض الانتداب البريطاني على العراق، صار ذلك القرار مخيباً لآمال العراقيين، وبرهاناً على حنث بريطانيا، بعهودها التي سبق وان قطعتها للعراق بالحرية والاستقلال، وكذلك تصريحات دول الحلفاء الآخرين بإعطاء الشعوب حق تقرير المصير. لذا كان لانتهاء تلك الحرب، ووضوح موقف بريطانيا الا مبالي بآمال العرب بالسيادة، أنْ قامت بعض الحركات المعارضة للبريطانيين في المناطق القريبة من العراق، فضلاً عن دور المثقفين العراقيين في تهيئة الاذهان للتحرر والمطالبة بالاستقلال، إلى جانب تأييد رجال الدين وزعماء القبائل للشعور المعادي لبريطانيا، فضلاً عن أسباب أخرى، إرتأى الشعب العراقي أنه لا مناص من استعمال القوة كمحاولة أخيرة لحمل بريطانيا على تغيير موقفها تجاه آمال العراقيين في الحصول على السيادة والاستقلال، لذا كانت النتيجة اندلاع الثورة العراقية الكبرى في عام 1920.

الكلمات المفتاحية: العراق ، مذكرات، ثورة.

المقدمة:

إنَّ التطورات الأخيرة التي شهدها العراق بعد إنتهاء الحرب العالمية الأولى عام 1918 تركت أثاراً سيئة على خلجات الرأي العام المتطلع للاستقلال، وأحدثت نفوراً بين أوساط المجتمع الريفي وبالأخص بعض الزعماء والمتنفذين من أبناء القرى والأرياف، مما دفعهم لمعارضة بريطانيا على الرغم من التأييد الواضح لها في بداية الأمر –على حسب ما ذهب إليه البعض- وإن كان ذلك بين أهالي المدن أكثر منه في الارياف، وهذا الأمر راجع إلى شدة ما عانوه من الولاة العثمانيين وتعسفهم، ومع ذلك يتبادر إلى الأذهان السؤال الآتي: إذا كان بعض العراقيين قد أيدوا الوجود البريطاني كما أدعا البعض، فلماذا تحولوا بعد مدة قصيرة إلى ألد أعدائها ومن ثُمَّ قيامهم بالثورة المسلحة ضدها على الرغم من انعدام التكافؤ العسكري بين الطرفين. وبلا شك فإنَّ الإجابة على ذلك السؤال ليس بالشيء الصعب، وربما يصح القول بأنه أمرٌ طبيعي، يقع للبعض في حياتهم اليومية كمثل بقية الشعوب، فربما ينتقل شعب من حالة إلى حالة أخرى يعتقد بأنها أفضل من السابق، غير أنه قد يتفاجأ بالوضع الجديد عندما يجد بانه ليس خالياً من العيوب التي سبق وأن رفضها في الحالة السابقة، وهذا حال الشعب العراقي عندما كان رافضاً للوجود العثماني وأيدَّ البعض منهم مجيئ القوات البريطانية، لكنه عندما لمسَّ الظلم والجور من الحكام البريطانيين ثار ضدهم طلباً للخلاص وإعلان الاستقلال. وهذا ما حدث فعلاً في العراق عام 1920، فإنَّ من أيدَّ الوجود البريطاني أخذ بمرور الأيام يدرك جيداً بأن الوضع الجديد لا يخلو من العيوب التي سبق وأن عانى منها أيام العهد العثماني، ومن هنا بات التذمر ينتشر تدريجياً بين أفراد مجتمع الفرات الأوسط بشكل خاص، ليشكل فيما بعد نواة للثورة.

إنَّ الأهمية التي تكمن في مذكرات زعماء الثورة ورجالها كونها تصور حلقات مفقودة من تاريخ العراق السياسي، أهملها بقصد أم دون ذلك بعض المؤرخين وفاتت القسم الآخر منهم على الرغم من أهمية تلك المعلومات في إعطاء الصورة الحقيقية عما جرى من أحداث وما شهدته المنطقة من تطورات لمدة أربعة أشهر ونيف من عمر الثورة. ومن الجدير بالذكر أن بعض المذكرات الخطية قد غابت عن الباحث ولأسباب كثيرة، ولو أن بعض الباحثين قد اسعفهم الحظ في مقابلة أصحابها وهم أحياء وبعد هذه السنين غاب هؤلاء الباحثون ورحل أولئك الأشخاص الذين كانت لهم مشاركات غير قليلة في أحداث الثورة وتطوراتها، وللأسف غابت معهم أيضاً تلك المخطوطات، لذا أصبح من المتعذر اليوم الحصول على تلك المخطوطات إلا ما ندر منها، ولعل الفضل الكبير يرجع إلى الأستاذ كامل سلمان الجبوري الذي جمع أعداداً لا بأس بها من تلك المخطوطات وأخرجها لنا بعد التعليق والتقديم لها، فحفظ تلك الوثائق من الضياع والتي أرخت لتلك المرحلة المهمة من تاريخ العراق الحديث. وبناءً على ذلك، جاء اختيارنا لموضوع "ثورة العشرين في مذكرات زعماء الثورة ورجالها- الأسباب والنتائج" كحلقة مكملة لما تصدى إليه الآخرون.

موضوع الورقة البحثية، وفرضياتها، وإشكاليتها وأسئلتها البحثية

إنَّ الغاية الرئيسة من هذا البحث هي سبر غور تلك الثورة وتداعياتها والأسباب التي أدت إلى قيامها، من أجل إبراز الصورة الحقيقية لأسبابها وبيان مقومات قيامها، وذلك لتوضيح بعض نقاط الخلاف التي اعترت بعض المصادر والتشكيك في دوافع رجالها، والغاية من الاندفاع ومواجه البريطانيين، إذ يعتقد البعض بأن ما قام به زعماء الثورة لم يكن بدوافع وطنية وإنما كانوا مدفوعين برغبات شخصية، لذا قدمنا بعض الفرضيات التي تعالج هذا الموضوع ومنها إذا كان العامل الشخصي هو من أجج ثورة عام 1920 في العراق ورغبة بعض شيوخ العشائر بتحقيق مصالحهم الذاتية، لماذا وقفت المرجعية الدينية إلى جانبهم وما هي الأسباب التي دفعت بآية الله العظمى محمد تقي الشيرازي لأن يصدر فتواه لمقارعة الإنكليز، وبهذا الصدد تبرز قضية مهمة وهي أن الثورة لم تقتصر على شيوخ العشائر ورجالاتها بل أسهمت بها بعض الشخصيات الوطنية من أهالي بغداد وبعض المحافظات الأخرى، كما كانت مواقف بعض الطبقات الادبية قد برزت بوضوح خلال تلك المرحلة. وظهرت بعض الإشكاليات بين بعض من تصدى لتاريخ الثورة العراقية الكبرى، لذا حاولنا قدر المستطاع إبراز نقاط القوة في تحليلنا للمواقف وتشريحها، والوقوف على حقائقها بغية إيصال صورة واقعية عن تاريخ رجالات تلك الثورة ومواقف الشجاعة التي قارعت المحتل ووقفت بصلابة دون مبالاة بالعدة والعدد. ومن هنا برزت بعض التساؤلات حول هذا الموضوع، منها:

- ما هي أسباب الثورة والدوافع الرئيسة وراء قيامها.
- هل كانت هناك إعداد مسبق لها، ام انها كانت عفوية في انطلاقها.
- هل كانت لها قيادة منظمة، وبرنامج واهداف تسير عليها.
- ما هي النتائج والمكتسبات التي حققتها الثورة.

أهمية الورقة، وأهدافها

أحتلت ثورة العشرين بأحداثها وزمانها وتداعياتها أهمية كبيرة في تاريخ العراق المعاصر، فعلى الرغم من الدراسات الكثيرة التي كرست بهذا الجانب، إلا أن جوانب عديدة منها لا تزال بحاجة إلى تقص عميق، لا تأريخي فحسب، بل كذلك اجتماعي واقتصادي وأدبي، لذا أرجو أن تكون هذه الدراسة مساهمة في وضع "الثورة على منضدة التشريح العلمي" ، كما يقول الوردي بصددها.

إنَّ الأهداف واضحة، فمن المتعارف عليه أن كل دراسة علمية تبحث عن حل لمشكلة ما، وبما أن ثورة العشرين قد تناولتها أقلام الباحثين وتصدى لها الكثيرين، فإنَّ الغاية تظهر في هذه الدراسة هو

لبيان الأسباب الرئيسة في قيامها، والتعرف على طبيعة رجالاتها وتوجهاتهم من خلال ما سطرتها أناملهم في مذكراتهم الشخصية.

المنهج البحثي، والمداخل المقترحة:

اتبعنا في دراستنا المنهج التحليلي الوصفي والتاريخي لأحداث الثورة ومسبباتها، والمقارنة بين ما كتبه رجال الثورة وبعض من تصدى لها من الكتاب والباحثين، ومن هذا المنطلق فقد اعتمدنا على ذكر الرواية بحسب ما نقلها زعماء الثورة ورجالاتها، والدوافع التي جعلتهم للقيام بذلك، ومقارنتها مع ما كتبه الباحثين بهذا المجال، ومن الجدير بالذكر هنا الإشارة إلى كتابات الاجانب وبالأخص البريطانيين الذين أرجعوا تلك الثورة وأسبابها إلى تمرد بعض الشخصيات العشائرية ورغبتهم في تحقيق مصالحهم الذاتية، فقد حاولنا احباط تلك المخططات التي سعى إليها قادة الاحتلال لإبعاد مسؤولية قيام الثورة عن انفسهم والحاقها ببعض الزعماء.

هيكل مقترح:

تكوّن البحث من المقدمة لبيان إشكالية البحث والأهداف والأهمية، فضلا عن بيان المنهج المتبع، مع تفصيل لمباحث الدراسة، مع تحليل موجز لبعض المصادر.

جاءت الدراسة في ثلاثة مباحث تصدى الأول منها إلى "أسباب الثورة من وجهة نظر بعض الكُتّاب والباحثين"، بينما تطرق المبحث الثاني إلى "بدايات الثورة والآراء الشخصية في إندلاعها"، ثُمَّ جاء المبحث الثالث "نتائج ثورة العشرين من وجهة نظر زعماء الثورة وقادتها"، إلى جانب الخاتمة التي تضمنت أبرز الاستنتاجات التي توصل إليها الباحث.

المبحث الأول: أسباب الثورة من وجهة نظر بعض الكُتّاب والباحثين

مما تجدر إليه الإشارة إنّ من كتبَّ عن ثورة العشرين على الرغم من كثرتهم، إلا أن هناك تبايناً كبيراً في تحديد مقدمات الثورة والأسباب التي أدت إلى قيامها بل حتى في نتائجها، بشكل واضح جعل دارس تاريخ الثورة العراقية غير مطمئن لما وصلت إليه أقلام بعض الباحثين(الحسني، 1426هـ، ص367-368)، فقد وصفها البعض بأنها جزءاً من ثورة الشريف حسين، ملك الحجاز(فياض، 1975، ص249) (العسكري، 1938، ص40)، وادعى آخر بأنها كانت من متممات حوادث دير الزور وتلعفر (أحمد، 1978، ص78)، بينما غالى البعض فقال إنها كانت ثورة فراتية بحته(الحسني، 1426هـ، ص380). ولعل ذلك التباين والاختلاف في الرأي راجع إلى أن ثورة العشرين لم تكن من الأحداث التاريخية التي يمكن حصرها في إطار داخلي ضيق، ولا شك في أن أي محاولة من هذا القبيل تُعد تجنياً على الثورة نفسها لا لأنها تتعارض كلياً مع المنطق حسب، بل ولأنها تنافي كل المألوف في تاريخ المجتمعات، لذا فإنَّ ثورة العشرين من منطلق قانون الترابط الافقي بين الأحداث وتطوراتها، أثرت وتأثرت بأحداث خارجية بدرجات متفاوتة إلى حدٍ ما حتمتها ظروف الزمان والمكان، وكان من الطبيعي أن تتأثر ثورة العشرين على الصعيد الخارجي بأحداث المنطقة نفسها ولاسيما في سوريا ومصر وتركيا وإيران فضلاً عن تداعيات ثورة أكتوبر في روسيا وتأثيراتها الخارجية على المنطقة بأسرها بحسب ما ذهب إليه البعض(أحمد، 1978، ص47). ومن الجدير بالذكر أن بعض البلدان المجاورة للعراق كانت في تلك الفترة زاخرة بالثورات والأحداث المثيرة، فبات من الطبيعي ان تؤثر أخبارها على العراق بشكل أو بأخر عن طريق بعض الصحف والمنشورات المهربة أو عن طريق بعض المسافرين والزوار، ولا بأس في أن نورد هنا بعض الأمثلة الحية بهذا الصدد، فإنَّ ما شهدته سوريا آنذاك كان له بعض الأثر على العراق، إذ تشكلّت في سوريا حكومة عربية برأسها الأمير فيصل بن الحسين، وشغل فيها العراقيون بعض المناصب، وكان هاجسهم الوحيد أن يحصل العراق على ما حصلت عليه سوريا، وعندما اندلعت ثورة مصر في آذار

1919 بزعامة سعد زغلول كانت جريدة العقاب في سوريا طافحة بأخبار تلك الثورة(الوردي، 2013، ص49-52)، وذكر العمري بأن تأثير الثورة المصرية كان واضحاً في تشجيع العراقيين على الثورة ضد بريطانيا، فضلاً عن انتعاش الروح الوطنية لديهم(العمري، 1925، ص99)(العسكري،1938، ص40). وفيما يتعلق بتأثير الحكومة الفيصلية في سوريا على أحداث العراق، كتبَّ عبد الحميد الزاهد في مذكراته بأنَّ وصول الأخبار من دمشق بداية عام 1919 على العمل لتحرير سوريا وإعلان استقلالها، بدأ العزم لدى الشباب النجفي لعمل مضابط يخولون فيها بعض الضباط العراقيين بتشكيل مؤتمر مماثل يخص العراق ليعلنوا استقلاله(الزاهد، 1987، ص13) (علي، 1950، ص44) ، لكن الفياض نفى ذلك الكلام مؤكداً بأن دور الحكومة الفيصلية وتأثيرها على العراق كان مبالغاً فيه، واستند في اعتقاده على ان العمري عندما كتب عن تأثير سوريا على ثورة العراق وأن الحكومة الفيصلية باتت قوية، وأن رجالها وفي مقدمتهم الأمير فيصل عازمون على تحرير العراق(العمري، 1925، ص98)، وفي الواقع أن هذا الأمر ليس له نصيب من الصحة، لأن المساعدات الفعلية التي قدمتها سوريا للعراق خلال الثورة نجدها ضئيلة(البازركان، 1991، ص171-172) ، ان لم تكن معدومة، وقد اثبت ذلك رجال الثورة في إجاباتهم للسيد الحسني بهذا الصدد. أما فيما يتعلق بالأخبار القادمة من تركيا فهي تلي أخبار سوريا ومصر في قوتها واتساع نطاقها، لاسيما وأن بعض العراقيين كانوا يتمنون عودة العثمانيين(أحمد، 1978، ص52)، أما فيما يتعلق بإيران فهي الأخرى كانت لها دعايتها داخل العراق، لا سيما وأنها كانت تخوض نزاع مرير مع البريطانيين بغية إلغاء اتفاقية عام 1919، ولما كان ذلك العام قد شهد اعداداً كبيرة من الزوار الإيرانيين الذي يقصدون الأماكن المقدسة في النجف وكربلاء، فلا حاجة بنا للقول أن الدعاية المناوئة للبريطانيين أخذت تأتي معهم للعراق(الوردي، 2013، ص54-55). والنقطة الأهم هي التي تتعلق بدعاية البلاشفة وتأثيرهم على العراق، فهناك من اعتقد أنه بعد انتصار ثورة البلاشفة في تشرين الأول/ أكتوبر عام 1917 كانت من جملة أهدافهم هو محاربة الاستعمار والرأسمالية، لذا باتوا يعرضون مساعداتهم لكل حركة مناوئة للاستعمار، ولا سيما في تركيا وإيران، وأخذوا يرسلون منشوراتهم إلى سوريا والحجاز والعراق، واعتقدوا بأن دعاة البلاشفة جاءوا إلى العراق بزي زوار وطلبة إيرانيين(الوردي، 2013، ص51) (كوتلوف، 1975، ص111)، ويستندون في ذلك على أنَّ المس بيل ذكرت بأنَّ "هناك أدلة تبرهن على أنه كانت هناك جمعية متآمرة، أسسها البلاشفة بالتعاون مع الوطنيين الأتراك، وكانت منذ مدة طويلة تتصل بالجمعيات العراقية السياسية المتطرفة لاستغلال الرابطة المشتركة بين الاتراك والعرب واحراج وضع البريطانيين في الشرق الأوسط"(بيل، 1971، ص439)(نظمي، 1985، ص330). إنَّ هذه النقطة بالذات تحتم علينا الوقوف عندها وقفة خاصة، لأن مسألة تأثير الثورة البلشفية لا زال أمرٌ يكتنفه الغموض، ولا زال يدور حوله النقاش والخلاف بين أغلب الباحثين، لأن ما نشر حول تأثير تلك الثورة على أحداث العراق في منتصف عام 1920 لم يوثق بأي دليل مادي يؤكد ما ذهب إليه البعض، فهو أمرٌ لا زال بحاجة ماسة إلى ما يؤكده تعزيزه واقعياً، ومن الجدير بالذكر أن ما ذكر أعلاه كان يحظى بالقبول عند علي الوردي وكمال مظهر أحمد، وقد أكدوا ذلك الكلام بالاعتماد على ما نشرته بعض التقارير البريطانية حول الخشية من تأثير البلاشفة على العراق(الوردي، 2013، ص55)(أحمد، 1978، ص54-55)، ومن أجل الوقوف على تلك الآراء والاعتقادات نجد من المفيد أن نستعرض أهم ما جاء بهذا الخصوص. أكد الدكتور كمال مظهر أحمد بأنه "لا شك في أن ثورة أكتوبر كأول ثورة اشتراكية في العالم قد تركت آثاراً واضحة على ميزان القوى على الصعيد الدولي وعلى النضال التحرري للشعوب المستعمرة وشبه المستعمرة، وبالنسبة للعراق تتوفر مصادر كثيرة، معظمها إنكليزية سرية، تشير بوضوح إلى مثل ذلك التأثير

وبوجه خاص لأن بفضل الثورة البلشفية تم الكشف عن المعاهدات السرية المعقودة بين فرنسا وانجلترا عام 1916 لتقسيم المشرق العربي"(افاق، 1976، ص155)(أحمد، 1977، ص81)، ولم يكتف الدكتور كمال بذلك، بل نقل عن وثائق بريطانية أشارت إلى أن الادبيات البلشفية كانت تصل المدن المقدسة في العراق بما في ذلك كتاب "مبادئ البلشفية" الذي جلبه الزوار من حلب معهم إلى العراق، وكانت تناقش أخبار التغيرات في روسيا داخل مجالس العراقيين، كما ذهبت تلك التقارير إلى القول بأن حجة الإسلام الشيرازي قد أصدر فتوى دعت إلى عد البلاشفة أصدقاء للإسلام بحسب ما كتبه المؤلف(أحمد، 1978، ص58-59). ثُمَّ أردف يقول بأنه توجد لديه العشرات من الأدلة المقنعة التي تظهر بوضوح مدى الخوف الذي انتاب المسؤولين البريطانيين من جراء ذلك، ويؤكد كلامه باختيار الأمير فيصل لأن يكون مرشحاً للعرش لكونه لا يميل للبلاشفة(افاق، 1976، ص92-93)(احمد، 1977، ص82). ويستشهد الدكتور كمال ببعض الأدلة على ذلك من خلال قوله بأنه مهما كان ذلك التأثير كبيراً في اطار الترابط الافقي بين الأحداث التاريخية فإنه لم يبلغ حداً أن تتوجه "الشخصية الدينية والسياسية المعروفة الخالصي" إلى صورة لينين قائلاً: "إنَّ الشرق الذي ايقظته ينتظر الفرصة لكي يحقق أفكار حياتك حول اتحاد شعوب الشرق، حول حق كل إنسان بل كل شعب، كبيره أو صغيره، في الحياة والاستقلال"(احمد، 1977، ص82). ومع ذلك كله، يقول الدكتور كمال مظهر، انه بالرغم من أهمية كل ما سبق، فإنَّ على المتتبع أن ينظر إلى تأثير ثورة أكتوبر الكبير من زاوية أخرى تماماً، ويستذكر هنا مجموعة من الدلائل التي أشارت بحسب اعتقاده إلى ذلك، منها انها –أي ثورة أكتوبر- كانت أقوى ضربة وجهت للنظام الرأسمالي العالمي، فهي بذلك دشنت لعصر جديد وهو عصر انتصار الاشتراكية ومقارعتها للرأسمالية، وأضاف أن النظام الاشتراكي الجديد لعب دوراً حاسماً في انتصار حركات تحررية لشعوب مجاورة للعراق تركت نجاحاتها تأثيراً ملموساً على الوعي السياسي لدى رجال الحركة الوطنية العراقية ككل، لذا أخذت بعض القوى السياسية تفقد الثقة بالحلفاء وبعهودهم ومواثيقهم، ومن ثُمَّ تبنت أساليب جديدة في النضال. واستند بذلك على أن مكتب ثورة العشرين في النجف أخذ منذ ذلك الوقت يدشن اعماله بعد فضح بنود معاهدة سايكس – بيكو(كمال الدين،1971،ص70) (احمد، 1978، ص69). وعليه يمكن القول بأنَّ ثورة البلاشفة على الرغم مما ذكره البعض لا يتعدى من سمع بأخبارها أو فهم مرتكزاتها سوى قلة من طبقة المثقفين، فإذا اخذنا بالحسبان ظروف العراق آنذاك والمستوى الفكري لإفراده، لم يكن بالإمكان أن يتعدى تأثير أفكار تلك الثورة إلا على المثقفين من سكان المدن، لأن الفلاحين وزعماء العشائر، وقود الثورة الأساس، كانوا في وضع اجتماعي لا يسمح لهم التفاعل مع المتغيرات الخارجية التي شهدتها روسيا آنذاك. ويمكن أن نفند آثر البلشفية على ثورة عام 1920 في العراق من خلال أن قلة المثقفين في العراق آنذاك، وإذا وجد من يتفهم مبادئ الماركسية منهم فهم قلة لا يتجاوزن العشرات من الأشخاص، إذا صح هذا الظن، كما إن الطبقة المثقفة في العراق وأن تأثرت في أفكار البلاشفة إلى حدٍ ما إلا انها لم تستطع أن ترتقي إلى مرحلة القيام بالثورة العارمة كما حدث في منطقة الفرات الأوسط حين ذاك.

ومن هنا يتضح أن النصوص سالفة الذكر والتي ذكرها البعض تشير إلى الاتجاه العام لسياسة بريطانيا وتسويفها للأحداث لتخلط الأوراق وتبعد أسباب فشل سياستها في العراق، والدليل على ذلك أن المس بيل وكذلك الرائد بري Bray اللذين أشارا إلى وجود جمعية سرية للبلاشفة لكنهما لم يتمكنا من اعطائنا أسم تلك الجمعية أو على أقل تقدير مكان نشاطها، ولم يشر إلى العاملين فيها، وكل ما في الأمر زعموا باتصال الشيخ محمد رضا الشيرازي مع البلاشفة(صالح العمر، 2013،ص99)، وهو اتهام باطل في جميع مقاييسه لأنهم لم يقدموا أية ادلة بخصوصه.

ونجد فيما ذهب إليه الدكتور الفياض في تفنيده لوجود أي اتصال أو أثر للبلاشفة على ثورة العشرين أهمية كبيرة للإشادة به، فقد ذكر بأنَّه لا يخفى عن أحدٍ ما للشيوعية كحركة عمالية من تأثير غير مباشر على العالم أجمع، لكن مثقفي العراق على ما يبدو كانوا على علم بمرامي الشيوعية وأهدافها، لذا لم يشبهوا ثورتهم بثورة الشيوعيين، وهذا ما جاء على لسان حالهم في صحيفة الفرات(الفرات،1338هـ)(فياض،1975، 286-287). كما أن كوتلوف الذي عُدَّ من أشهر من كتبَّ عن الثورة العراقية من السوفييت لم يثبت أي تأثير بلشفي على الثورة العراقية، وأكتفى بالتفسير الماركسي لعوامل القيام بالثورة، والانكى من ذلك اعتماده على المصادر البريطانية، إذ اقتبس بعض معلوماته من ويلسن Wilson وليل Layell ومس بيلMiss Bell (كوتلوف، 1975، ص133). أما من ناحية بريطانيا فقد أرادت من خلال زعمها بوجود دعاية بلشفية أن تبعد أسباب الفشل عنها.

حتى ان الدكتور فاروق العمر، صاحب كتاب "ثورة أكتوبر البلشفية لـ 1917" لم يتلمس أي حقائق دالة على أن ثورة العشرين في العراق قد استفادت مادياً أو ثقافياً من الثورة البلشفية، وذهبت سعاد خيري، ذات الميول الماركسية في كتابتها عن تاريخ الحركة الثورية في العراق على أساس مادي، إلى تفسير التأثير البلشفي على العراق بالاعتماد على ما ذكره ليل Layell بأن التأثير جاء عن طريق الزوار الإيرانيين(خيري، 1980، ص25). أما الدكتور عبدالله النفيسي فقد بيّن في مقدمة العوامل التي تسببت بإندلاع ثورة العشرين سوء المعاملة التي اتبعتها الإدارة البريطانية، فضلاً عن العوامل الخارجية التي قال عنها بأنه لا شك فيه بوجود تدخل اجنبي غير رسمي، ومعونات مالية وجدت سبيلها إلى النجف وكربلاء، ولم يشر إلى تأثير البلاشفة على العراق(النفيسي، 1973، ص151). وإذا كنا نوافق الرأي في الشطر الأول مما ذكره النفيسي فإننا نجانب الحقيقة إذا شاطرناه فيما ذكره في الشطر الأخر حول المساعدات المالية، ولا نعلم من أين جاء النفيسي بالمعلومات التي جعلته يثق كل الثقة فيما ذهب إليه بوجود المساعدات المالية، على الرغم من ان جميع زعماء الثورة وممن اشترك فيها آنذاك فندوا وجود أو استلام أية مساعدات مالية، ولا يوجد هناك أي دليل على ذلك. ومن هنا يمكن القول أن العراق على الرغم من احاطته ببعض الدول التي اثرت فيها البلشفية إلى حدٍ ما، إلا انه لا يوجد هناك أي دليل مادي على وجود أي اتصال أو تأثير بلشفي خلال تلك المرحلة على العراق. وأزد في ذلك ان الاختلاف في طبيعة الحكم السياسي بين المرحلتين أثار امتعاض الكثيرين، ففي العهد العثماني كانت الدولة العثمانية تتبع نظاماً سائب أقرب إلى الفوضى في إدارة الأمور، إذ اعتادت على أنْ تترك الناس يفعلون ما يشاؤون دون تدخل إلا فيما يتعلق بجباية الضرائب، فقد اعتاد العراقيون على تلك الممارسات، فكانوا يحلون مشاكلهم بأنفسهم دون مراجعة الحكومة، فضلاً عن أن الموظفين في العهد العثماني كانوا متساهلين إلى حدٍ ما في تطبيق الأنظمة والقوانين بفعل تأثير الرشوة والوساطة، لكن عندما جاء عهد الاحتلال البريطاني شهد العراقيون نظاماً للحكم غير مستساغ، إذ وجدوا الصرامة والشدة في تطبيق تلك القوانين، وقل تأثير الرشوة أو انعدامها، وشهدوا الخشونة وقلة المبالاة بمشاعر الناس ومكانتهم الاجتماعية، لذا يمكن القول بأن عهد الاحتلال البريطاني أحدث انقلاباً عجيباً في طبقات المجتمع العراقي(الأعرجي، 2011، ص130) ، فقد أصبح المحترم ذليلاً والذليل محترماً، ذلك لأن الإدارة البريطانية عملت على تقريب بعض الأشخاص وقلدتهم المناصب الحساسة، إلى جانب الهنود والأرمن، فضلاً عن بعض الأذلاء من الأشخاص، ولما كان الناس قد اعتادوا منذ عهد مضى على احترام الاشراف وذوي النسب الرفيع، فقد ساءهم تقلد أولئك الأذلاء لتلك المناصب في إثارة السخط والتذمر ضد أولئك الأشخاص ومن ورائهم البريطانيين، ويفرد الدكتور علي الوردي أدلة مقنعة في هذا الصدد(العمري، 1925، ص3-7)(الوردي، 2013، ص21-23).

وإلى جانب تلك الأمور كان قصب السبق لسياسة العشائر في ذلك الميدان، فقد كانت معظم العشائر ولا سيما في منطقة الفرات الأوسط في نزاع مستمر مع الولاة العثمانيين، إذ غالباً ما اتبع أولئك الولاة سياسة "فرق تسد" تجاه بعض العشائر من خلال افتعال الخصومة فيما بينها حتى لا يتحدوا ضدها(أبو طبيخ، 2001، ص82)(بيل، 1971، ص438)، لكن عندما جاء البريطانيون أتبعوا سياسة تقريب بعض شيوخ العشائر واغرائهم بالمال والسلاح في كثير من الأحيان لكسب ودهم وبالتالي يقوم أولئك الشيوخ بتنفيذ ما يأمرون به من قبل الحكام البريطانيين، غير ان تلك السياسة بقدر ما أفادت الأخيرين إلا إنها اضرت بهم من ناحية أُخرى(الوردي، 2013، ص126-127).

ومن خلال ذلك يتضح أن بريطانيا اتبعت سياسة توحيد العشائر بدلاً من تشتيتها، فبحسب ما اعتقد أحد المؤرخين أن بريطانيا انتهجت سياسة اختيار شيخ واحد من كل منطقة أو قرية ومن ثم أخذت تدعم موقفه بالمال والنفوذ حتى يكون مسؤولاً عن حفظ مصالحها في منطقته، وهكذا نشأت منفعة متبادلة بين الطرفين، فمن جانبهم سيحصرون السلطة في جهة محدودة، ويفضلونه على منافسيه ويخففون عنه الضرائب، ومن جانبه –أي الشيخ- يقوم بتنفيذ ما يأمرونه به ويحمي نفوذهم(صالح، 1953، ص15). وزاد في الطين بلة ما أعتور بعض الضباط البريطانيين من مفاسد وسوء معاملة فضلاً عن تهور البعض منهم في معاملتهم لشيوخ العشائر(العصامي، 2019، ص43)، وبهذا الصدد نجد من المفيد أن نستشهد بقصتين لهما مغزى واحد، فقد روي عن أحد الشيوخ القاطنين في منطقة بعقوبة أنه كان جالساً ذات يوم عند الحاكم السياسي لمنطقته، وبينما كانا يتجاذبان أطراف الحديث وإذا بكلب الحاكم قد دخل إلى الغرفة وأقترب من الشيخ، فما كان من الأخير إلا أن طرده وأبعده بيديه، فأستغرب الحاكم لذلك الفعل وسأل الشيخ بتهكم عن تصرفه فأجابه الشيخ بأن الكلب "نجس"، فما كان من الحاكم إلا أن ردَّ عليه وصاح بوجه الشيخ قائلاً: "إنَّ الكلب أنظف منك"(الوردي، 2013، ص30). أما القصة الثانية فقد حدثت في مدينة عفك مع الشيخ صكبان أبو جاسم، شيخ عشيرة آل بدير، فيذكر ان الشيخ كان في أحد الأيام جالساً عند الكابتن ويب، حاكم مدينة عفك، فإذا بكلبه يقترب من الشيخ صكبان فأبعده عنه بخشونة، ولما سأل الكابتن ويب عن ردة فعل الشيخ أجابه الأخير بأنه "نجس" فردَّ عليه الحاكم "إنه أنظف منك، لأنني أغسله بالصابون في كل يوم مرتين"، فخرج الشيخ صكبان وهو غاضب لما حدث له، وأخذ يشتم الحاكم البريطاني قائلاً: "ألعن أبوك وأبو الإنكريز كلهم، تريد تتميجر بجعبي"(الهيمص، 1991، ص44). وتلك المعاملة التي لا تخلو من الخشونة لم يغفلها شيوخ العشائر لا سيما إنَّ أبناء الريف كانوا يعتزون بالكرامة ويرفضون الإهانة، فهم لا يترددون في أحيان كثيرة بالمجازفة بحياتهم لقاء حفظ الكرامة والثأر لها، ولعل تلك الخصلة قد ورثها أبناء المجتمع من البداوة وحياة الريف، لأن الإهانة لديهم تُعد وصمة عار لا تغتفر اجتماعياً، لذا تجدهم في أغلب الأحيان يثيرون لمجرد كلمة، ولعل ما جرى للكولونيل لجمان ومقتله على يد الشيخ محمود الضاري وأبنائه خير دليل على ذلك(الموح، 1986، ص66-69). كما إن تلك النقطة بالذات لم تغب عن تحليل بعض القادة البريطانيين عندما نسبوا أسباب الثورة إلى سوء معاملة بعض الحكام البريطانيين أو عدم معرفتهم في التعامل مع الشخصية العراقية عن كثب، فقد كتب الجنرال هالدين "إنَّ المعاملة الفظة التي عامل فيها الحكام البريطانيون لبعض شيوخ العشائر كانت من أبرز الأسباب التي أدت إلى قيام الثورة"(هولدين، 1965، ص26) ، غير أنَّ المس بيل لا توافق هالدين في ذلك الرأي باستثناء حاكم الديوانية الميجر ديلي، والكولونيل لجمان حاكم الرمادي(العمر، 1983، ص66)، فقد اعترفت في أكثر من مرة بأنَّ معاملة ديلي الفظة ساعدت على نمو الحقد على البريطانيين ومن ثم إشعال فتيل الثورة ضدهم(الوردي، 2013، ص32).

وبهذا الصدد نجد إشارة في مذكرات السيد محسن أبو طبيخ بأنَّ البريطانيين عجلوا في قيام الثورة من خلال سياستهم وجهلهم بنفسية الشخص العراقي(علي، 1950، ص39)، فقد اعتقد البريطانيون بأنَّ الشعب العراقي يتحمل الظلم وتقبُّل الذل والهوان مثل بعض الشعوب التي استعمروها، ولولا ذلك التفكير الخاطئ والتزامهم سياسة العنف والشدة وخاصة في مدن الفرات الأوسط وأريافه لكان أسلوب المطالبة السلمية قد استمر معهم للحصول على الاستقلال والتدرج في تحقيق المطالب الوطنية بدءاً بتشكيل الحكومة الوطنية ولأستمر معهم التفاوض(أبو طبيخ، 2001، ص112)(نظمي، 1985، ص321، 405).

المبحث الثاني: بدايات الثورة والآراء الشخصية في إندلاعها

على الرغم من الكم الهائل من الآراء والاعتقادات الشخصية حول بدايات قيام الثورة والأسباب الرئيسة وراء إندلاعها، يبدو أن هناك اتفاق في بعض تلك الآراء على أن أول من نادى بقيام الثورة المسلحة ضد البريطانيين هو السيد علوان الياسري، وأنَّ أول من أيده في ذلك هو السيد محمد رضا الصافي، وخلاصة ذلك الرأي ترجع إلى أنه في أحد الأيام كان السيد علوان الياسري عند الجنرال لايل Lyell، حاكم منطقة أبو صخير وعند دخوله عليه وجد الحاكم البريطاني يوجه إهانة إلى أحد وجهاء المنطقة فكان لذلك العمل وقع كبير في نفس السيد علوان الياسري، وعند خروجه من الحاكم البريطاني التقى بالسيد محمد رضا الصافي، وكانت علامات الغضب تلوح في وجه السيد علوان الياسري، وعندما سأله الصافي عن أسباب هذا الوضع أفاض الياسري عما شاهده عند الحاكم وتذاكرا ملياً حول نظرتهما للبريطانيين وكرههما لهم واتفقا على ان يجتمعا في النجف الأشرف لأخبار جماعتهما من بقية الزعماء واطلاعهما على السبل الواجب اتخاذها لطرد البريطانيين ومواجهتهم(فراتي، 1952، ص101-102)(الوردي، 2013، ص124). وينقل علي الوردي عن تلك الحادثة من مذكرات السيد محمد أمين الصافي، أخو محمد رضا الصافي ما نصه: "أنه في احدى الأيام التقى السيد محمد رضا الصافي بالسيد علوان الياسري في منطقة أبو صخير وكان كلاهما متأثرين أشد التأثر من الوضع السيء الذي أهان كرامة الزعماء... وقد ذكر الصافي للسيد علوان الياسري بأن الوقت قد حان للعمل والتضحية لخلاص البلاد من السيطرة البريطانية، فراقت الفكرة للسيد علوان الياسري، وتضامنا هناك على العمل، وبعدها جاء السيد علوان الياسري إلى النجف وقصد السيد الصافي في داره، وبعد لقائهما اتفقا على توسعة الفكرة ونشر الدعوة وإقناع من يجدون فيه اللياقة، وأول من وقع عليه الاختيار الشيخ عبدالكريم الجزائري، فدُعيَّ إلى دار السيد الصافي واجتمع بهما، وبعد مناقشة الأمر من جميع نواحيه اتفق الثلاثة على ذلك الأمر، ومن هنا نبتت الفكرة الأولى للثورة، وأحكمت الدعاية، فابتدأت المطالبة السلمية ثُمَّ الدموية ومن بعدها الثورة..."، ويُرجح الوردي بأن ذلك اللقاء ربما يكون في ربيع عام 1919 حيث أخذ السيد علوان الياسري منذ ذلك الحين يبث دعوته الثورية بين شيوخ العشائر، ولما عرفَّ عنه الدهاء والمقدرة في إقناع الأشخاص(فراتي، 1952، ص102-103)(الوردي، 2013، ص124)، نجح الياسري في كسب الكثير من المريدين حوله(الوردي، 2013، ص125-126). أما عن أبرز الأسباب التي أدت إلى إندلاع الثورة، فقد ذكرَّ بهذا الصدد السيد حسين كمال الدين، وهو من زعماء الثورة البارزين، أنَّ فكرة استقلال العراق وتشكيل حكومة وطنية قد أخذت حيزاً في تفكير بعض الشخصيات الوطنية منذ أواخر عام 1918 (حسين كمال الدين، 1987، ص11)(الوردي، 2013، ص45)، بعد أن أعلنت كل من بريطانيا وفرنسا حرية البلدان المنسلخة عن الدولة العثمانية في تقرير مصيرها(الفرعون، 1952، ص66-67)(سعيد كمال الدين، 1987، ص23)(صالح، 1987، ص11)، فأخذ قسم منهم يفكر في القضية ويطرح بعض الشخصيات التي يمكن أن تحكم العراق، ورجح بعضهم بأن تكون الحكومة ملكية

وليست جمهورية لاعتقادهم بأنَّ الأخيرة لا تصلح إلا لشعب راقٍ –بحسب اعتقادهم- بينما خلص البعض الآخر إلى أن يكون أحد أنجال الشريف حسين "المرجح آنذاك عبدالله" ملكاً على العراق(حسين كمال الدين، 1987، ص11). كما أكد تلك الفكرة السيد سعيد كمال الدين في مذكراته أيضاً، إذ كتب عن تلك المسألة ما نصه "إنهم –ويقصد بهم مجموعة من الوطنيين والاحرار- يريدون استقلالاً وأن لهم حرية الاختيار"(حسين كمال الدين، 1987، ص11). ولم يذهب الشيخ عبود الهيمص بعيداً في تفسير الأسباب التي عجلت بقيام الثورة، فقد ذَكَرَّ مجموعة من الأسباب التي لم تخرج عن دائرة ما ذُكر أعلاه(الهيمص،1991، ص41-42). ولكن على الرغم من تمسك بعض الزعماء في منطقة الفرات الأوسط بتعهدات بريطانيا وفرنسا، ولا سيما فيما يتعلق بتصريح عام 1918، إلا أن هناك من يعتقد بأنَّ بريطانيا وفرنسا قصدت من ذلك التصريح تهدئة السوريين الذين امتعضوا كثيراً من سياسة فرنسا التي اتبعتها في لبنان آنذاك، إلى جانب التأثير على الوفد الأمريكي في مؤتمر الصلح، ولا سيما الرئيس الأمريكي ولسن، ومعنى ذلك أن بريطانيا عند إصدارها ذلك التصريح كانت مهتمة بأمور بعيدة عما يجري في العراق، ولعلها غفلت عما يمكن أن يكون لذلك التصريح من تأثير داخل العراق. أما في مذكرات السيد سعد صالح، فقد جاء فيها: "إنَّ العلماء كتبوا كتباً في مضمونها وفحواها يريدون حكومة وطنية عربية عراقية وشكلها دستوري نيابي، يتملكها أحد أنجال الشريف حسين، مستقلة استقلالاً تاماً بلا حماية ولا وصاية ولا انتداب، وأنْ يكون علمها العلم الذي رفع في الحجاز"(صالح، 1987، ص12)(علي كمال الدين، 1986، ص31). وقد أكد هذا الجانب حجة الإسلام محمد جواد صاحب الجواهر في عام 1935 عندما كتبَّ في إجابته عن أسئلة السيد عبدالرزاق الحسني بأنَّه بعد التأكد من مواعيد البريطانيين وتعهداتهم التي لا طائل تحتها ثار أبناء الريف ضدهم(الحسني، 1426هـ، ص380). ومن هنا يتضح إنَّ جميع الآراء التي كتبها أصحاب المذكرات كانت متفقة إلى حدٍ ما على تشكيل حكومة وطنية بعيدة عن سيطرة البريطانيين، تحظى بالسيادة والاستقلال التام، وهذا خلاف ما ذهب إليه البعض في القول: "إنَّ الثورة كانت عفوية، وقامت من أجل مصالح بعض شيوخ العشائر"، فإذا كان الدافع هو لحماية مصالح الشيوخ كما يدعي البعض، لما كتب العلماء ورجال الدين إلى ملك الحجاز، وطالبوا بتشكيل حكومة وطنية يشترك فيها جميع أطياف الشعب العراقي، الأمر الذي يعطي انطباعاً واضحاً عن اكتمال النضوج السياسي لأبناء تلك المناطق. وتكتمل الصورة فيما لخصه زعماء الثورة بمجموعة من الأهداف والمطاليب التي قدموها للميجر نوربري(تويج، 1987، ص14-15)، الحاكم البريطاني لمنطقة الشامية والمشخاب، والتي تلخصت بمنح الاستقلال السياسي التام للبلاد وتشكيل حكومة وطنية مستقلة لا علاقة للأجنبي في تشكيلها، أو التدخل في شؤونها، فضلاً عن أطلاق سراح المعتقلين ومن بينهم الشيخ محمد رضا الشيرازي، نجل حجة الإسلام محمد تقي الحائري الشيرازي، ورفع مراكز المراقبة والتفتيش والثكنات العسكرية كافة من منطقة الفرات الأوسط، غير أن نوربري أجابهم بأنه لا يملك الصلاحيات التي تخوله لقبول أو رفض مطالبهم، وأنه سيقوم برفعها للمندوب السامي البريطاني في بغداد(تويج، 1987، ص14)(علي كمال الدين، 1986، ص37). بينما ينقل فريق المزهر آل فرعون في مذكراته بأن نقض بريطانيا للعهود السابقة التي وعدت العرب بها، فضلاً عن أن بريطانيا لم تعطِ تلك العهود أي قيمة ولا حساب، لذا كانت تلك المسائل سبباً من أسباب الثورة، فبحسب ما ذهب إليه آل فرعون "إنَّ تلك الأسباب كانت وراء نشأة فكرة الثورة العراقية المقدسة"(فرعون، 1952، ص68). وخلص آل فرعون إلى حقيقة مفادها، إنَّ الاستفتاء الذي افتعلته الإدارة البريطانية كان الشرارة التي اضرمت نار الثورة(فرعون، 1952، ص69)، وذلك من خلال ما انتجته من ردود أفعال عكسية، فقد كانت المضابط التي وقعها بعض الزعماء في بغداد وبقية المدن العراقية التي اوضحت الرغبة الملحة

لاستقلال البلاد وتشكيل حكومة عربية يحكمها أحد انجال الشريف حسين(فرعون، 1952، ص70-71)(أبو طبيخ، 2001، ص66)، وأضاف بأنَّ رغبات بعض الشيوخ والوجهاء في مناطق الفرات الأوسط كانت تتلخص بتحقيق الحرية والاستقلال التام من خلال الاجتماع الذي عقده أولئك الزعماء بعد الاستفتاء ومن ثم مقابلة حجة الإسلام السيد محمد كاظم اليزدي بذلك الشأن.(الفرعون، 1952، ص78)(أبو طبيخ، 2001، ص66) وفي الصدد نفسه، ينقل فريق المزهر آل فرعون إجابات بعض الشخصيات التي شاركت في الثورة ومن كان له الزعامة والقيادة في الكثير من احداثها، وعلى الرغم من أن هذا الأسلوب كان مماثلاً لِما فعله السيد عبد الرزاق الحسني قبله في كتابه الثورة العراقية الكبرى المطبوع في عام 1929، إذ وجه الحسني بعض الاسئلة لزعامات الثورة وممن اشترك فيها ونقله في آخر صفحات كتابه، وربما نهج آل فرعون ذلك النهج على غرار الطريقة نفسها، لما فيه من أهمية ودقة كبيرة في سرد الأحداث وبيان أهم النقاط التي غابت عنها اقلام بعض الكُتّاب، ومن أجل الوقوف على وجهة نظر أولئك الزعماء ننقل أهم ما جاء فيها بخصوص الأسباب والنتائج التي تعلقت بالثورة. ومن الجدير بالذكر أن نشير هنا إلى أن بعض الشخصيات على الرغم من دورها الكبير في الثورة إلا انها لم تعط المعلومات الوافية عن الثورة، سواء كان ذلك بقصد أم أن الذاكرة قد خانت البعض منهم وباتت الكثير من المعلومات في مستودعات الضياع، فعلى سبيل المثال لم نجد في إجابة عبدالكريم الجزائري، الذي يعد من أكثر رجال الثورة اطلاعاً على خبايا الأمور، التي كتبها لفريق المزهر آل فرعون في 22 ربيع الأول 1371 هـ ما يشفي الغليل، إذ جاءت إجابته فارغة عن المضمون عما سأله به صاحب الكتاب "الفرعون"، والتي تضمنت أغلبها أسئلة تتعلق بأسباب الثورة وطبيعة تحركات الثوار، والجهات التي ساهمت بالمال أو السلاح لدعم الثورة، فضلاً عن طلبه بتزويده ببعض الوثائق إنْ وجدت لديهم، إذ أكتفى الجزائري بالتعليق على النقطة الأخيرة من الاسئلة التي وجهها له الفرعون والتي تتعلق بالوثائق ولم يشر إلى بقية الاسئلة، فقد اعتذر الجزائري لعدم حفظه لتلك الوثائق والأوراق(الفرعون، 1952، ص552). غير أنه في إجابته عن أسئلة السيد عبد الرزاق الحسني ذكرَّ له من بين الأسباب التي دفعتهم للثورة تعود إلى إنَّ القوات البريطانية كانت محتلة لأرض العراق وانها تُعد مخالفة للعراقيين خَلقاً وخُلقاً ومنطقاً وديناً، إلى جانب سوء معاملة حكامها لعموم العراقيين، فضلاً عن استغاثة الزعماء بالعلماء، وإظهار المقدرة على محاربة البريطانيين وحفظ الأمن والنظام وعدم الإخلال بالأمن(الحسني، 1426هـ، ص377)
(الموح، 1986، ص69).

أما السيد هبة الدين الحسيني الشهرستاني، فقد أوجز جوابه لفريق المزهر آل فرعون بخصوص الأسباب التي دفعتهم للقيام بالثورة، وجاءت بلا شك مقاربة لِما ذكره الكثيرون، فقد أكد بانَّ سياسة بريطانيا التعسفية مقابل الرغبة في الحصول على الاستقلال والحرية كانت الدافع الرئيس وراء القيام بالثورة(الفرعون، 1952، ص553-554). لكن في إجابته عن أسئلة السيد عبدالرزاق الحسني كتبَّ عن دوافع قيام الثورة، قائلاً: "إنَّ نهضة الملك حسين في الحجاز، وملوكية فيصل في الشام واتصال رجاله ببغداد، وحركة الكماليين في الشمال –يقصد في تركيا- هي أسباب انعاش الروح الوطنية عند العراقيين، والإلحاح لمطالبة بريطانيا باستقلالهم حسب الوعود، وأن خشونة الحكام العسكريين البريطانيين مع الأهلين، وعدم عدالة الحكام السياسيين في الشيوخ والأشراف والعلماء هي أسباب تنفر الرأي العام من السلطة المحتلة، فانقدحت نار الثورة من هذه الصخرة، ومن ذلك الزناد القادح"(الحسني، 1426هـ، ص382). وإلى جانب ذلك اعتقد عبدالمحسن شلاش بأنَّ منشأ الثورة العراقية يعود إلى الشعور العربي المحض، الذي كانت تتحسس به جميع الشعوب العربية ضد كل سلطة أجنبية، ومن هذا المنطلق يرى بأنَّ الثورة لم تكن وليدة سنتها المذكورة، ولا وليدة الحرب

العالمية الأولى، وفي الصدد نفسه أشار إلى أن الغاية لم تكن عدائية ضد بريطانيا حسب، بل كان منشؤها النعرة القومية الراسخة في قبائل العراق وأريافه، واندفاع سكانه لمبدأ التحرر من النفوذ الأجنبي، وأكد ذلك من خلال أنهم ثاروا في وجه الدولة العثمانية مراراً قبل وصول البريطانيين إلى العراق(الحسني، 1426هـ، ص393). وعلى صعيد آخر لم يكن جواب السيد محسن أبو طبيخ للسيد فريق المزهر آل فرعون، استثناءً من القاعدة التي ارتكزت عليها أغلب الإجابات والرؤى، إذ أكد هو الأخر بأنَّ "حركتنا –ويقصد بها الثورة- كانت للمطالبة بتحرير العراق من سيطرة بريطانيا وتحقيق الاستقلال التام والناجز –على حد تعبيره- (الفرعون، 1952، ص556)، بينما ذكرَّ في جوابه للسيد عبدالرزاق الحسني في 8 تشرين الأول/ أكتوبر 1934 بأن حب الوطن والرغبة في تخليصه من نير الاستعمار كانت الأسباب وراء القيام بالثورة ضد البريطانيين. وهنا يشاطر أبو طبيخ رأي الكثيرين ممن ذكروا الدوافع والأسباب الرئيسة للثورة. وأكد ذلك الرأي السيد علوان الياسري، وهو الزعيم الفعلي لثورة العشرين، في جوابه عن أسئلة السيد عبدالرزاق في 19 شعبان 1353 هـ/ 1935م عندما كتب بأنَّ الدافع الوطني هو من دفعهم للثورة(الحسني، 1426هـ، ص393).

ومن بين تلك الآراء أيضاً، أكد السيد كاطع العوادي بأنَّ بعض زعماء منطقة الفرات الأوسط منذ عام 1329 هـ طالبوا بتشكيل حكومة لا مركزية وأنَّ تلك الفكرة لم تكن وليدة اللحظة لديهم آنذاك، وإنما كانت مختمرة في أذهان قادتهم منذ زمن العثمانيين. ونجد مثيلاً لهذا الكلام أيضاً عند السيد سعيد كمال الدين عندما أشار قائلاً: "بإنَّ بعض الأفراد من أهالي النجف كانوا يعقدون الاجتماعات في دار السيد أحمد الصافي منذ أواخر عام 1916 بغية العمل من أجل تخليص العراق من الاستعمار البريطاني والعمل على استقلاله"، ولم يكتف بذلك فقد أكد في إجابته عن أسئلة الفرعون بأنَّ دافعهم للقيام بالثورة كان بقصد التخلص من الحكم البريطاني وعدم السماح للبريطانيين للتدخل في شؤون العراق الداخلية.(الفرعون، 1952، ص557-567) ولعل كلام السيد كاطع العوادي والسيد سعيد كمال الدين فيه الشيء الكثير من الوجاهة إذا ما أخذنا بناحية تفسير عدد الثورات والحركات المعارضة للعثمانيين في المرحلة التي سبقت الحرب العالمية الأولى، ولكن إذا نظرنا إلى موقف عشائر الجنوب والفرات الأوسط في معركة الشعيبة عام 1915 عندما وقفوا إلى جانب العثمانيين ضد البريطانيين وجدناها تنافي ما سبق ذكره(الحبوبي، 2012، ص141)، إلا اننا يمكن ان نرجعها لعامل الدين والشريعة، إذا كان أبناء العراق وتحديداً في الاقسام الوسطى والجنوبية أكثر تمسكاً بتعاليم رجال الدين وفتاويهم الشرعية، ويمكن أن تعكس تلك الصورة موقفهم المساند للعثمانيين في عام 1915. لكن هذا لم يتعارض مع الواقع لأنه لما وجد العراقيون سياسة البريطانيون أشد تعسفاً واضطهاداً من العثمانيين، ثاروا ضدهم. أما الحاج صلال الفاضل فقد سرد أربع صفحات عن الثورة ودوره فيها دون الإشارة إلى أسبابها، لكن من بين السطور يمكن أن نستنتج من كلامه بأن السياسة المتعالية لحكام الولايات البريطانيين وعنجهيتهم في معاملة سكان الريف كانت السبب في قيام الثورة. كما لم يخرج جواب الشيخ محمد رضا الشبيبي عن دائرة المطالبة بالاستقلال والمحافظة على سيادة العراق، إذ أكد بأنَّ سياسة بريطانيا القائمة على المماطلة والتسويف وغمط حقوق السكان كانت وراء الثورة واشعال فتيلها. وهذا الأمر ينطبق تماماً على وجهة نظر الحاج رايح العطية. ولم يبتعد كثيراً الشيخ خميس الضاري، رئيس عشائر زوبع في لواء الدليم، في إجابته التي رفعها إلى المؤلف "فريق الفرعون" في 26 شباط/ فبراير 1952، فقد أكد في إجابته على ما ذهب إليه السابقون، مشيراً إلى أن الدافع الوطني بغية الاستقلال وتشكيل حكومة عربية يترأسها أحد انجال الشريف حسين كانت السبب وراء قيام الثورة.(الفرعون، 1952، ص563-578)(بيل، 1971، ص165)

وما من إجابة تجلّت فيها حقيقة القيام بالثورة واندلاعها يمكن ان نستشفها في إجابة السيد ناجي السويدي الذي اعتقد بأن نزوع الشعب العراقي وميله للحرية، وعدم رضوخه للمستعمرين، وبيان الجنرال مود Maude وبنود الرئيس الأمريكي ويلسن الأربعة عشر(الاستقلال، 1920) (العسكري، 1938، ص44)، ووعود الحلفاء المتكررة بتخليص الشعوب المستعمرة من قبل العثمانيين، سوء معاملة الحكام البريطانيين وغطرسة ضباطهم وجنودهم وتحكمهم في رقاب الناس، فضلاً عن التضييق الشديد بالضرائب على الفلاحين بغية تحقيق الأموال الأميرية وجبايتها، واستثناء بعض المتزلفين والمتملقين إليهم من ذلك، والأهم من ذلك شيوع بعض الأخبار عن وجود مخطط يهدف إلى إلحاق العراق بحكومة الهند، والإفراط في توظيف الهنود واستخدامهم في الوظائف الحكومية، إلى جانب الاختلاف الديني والمدني بين العراق وبريطانيا، والرغبة في تأسيس حكومة مستقلة في العراق على غرار ما حصلت عليه سوريا ومملكة الحجاز.(الحسني، 1426هـ، ص368-369) ويمكن ان نلمس الصورة ذاتها في جواب الشيخ سوادي الحسون، شيخ عشيرة بني عارض، الذي أكد بأن الهدف من الثورة يكمن في تأسيس حكومة وطنية تعمل على استقرار العراق وسيادته(الفرعون، 1952، ص584)، أما السيد ناجي شوكت فقد انفرد بتقسيم الأسباب على ثلاثة أقسام رئيسة وهي أسباب موضوعية بالنسبة إلى القبائل التي قامت بها، وأُخرى دينية من حيث مشاركة رجال الدين وبعض المجتهدين فيها، والثالثة قومية نتيجة لمشاركة بعض الجمعيات السرية فيها وتغذيتها بالأفكار والآراء، ويؤكد هذا الاعتقاد أيضاً الشيخ علوان الحاج سعدون، رئيس عشائر بني حسن في منطقة الكفل، عندما كتبَّ بأنَّ من أسباب قيام الثورة هو العامل الديني والوطني والعربي.

(الحسني، 1426هـ، ص370، 393)

وعلى غرار ما ذكره السيد كاطع العوادي والسيد سعيد كمال الدين، كتبَّ الشيخ عبد الواحد الحاج سكر في جوابه للسيد فريق المزهر آل فرعون بتاريخ 21 ربيع الأول 1371 هـ بأنَّ الثورة كانت لها جذور للمطالبة بالاستقلال منذ زمن الحكم العثماني، وأن السبب الرئيس لقيامهم بالثورة كان العامل الديني والوطني فقد لخص فكرته بالعبارة الآتية "ثرنا للتخلص من سيطرة دولة أجنبية للحصول على الاستقلال"(الفرعون، 1952، ص587)، وقد أكد هذا الأمر في جوابه للسيد عبدالرزاق الحسني عندما كتبَّ له "طلبنا الاستقلال التام من الحكومة البريطانية بناءً على ما سبق من وعودها وتعهداتها [...]، ولهذه الأسباب حدثت الثورة العراقية".(الحسني، 1426هـ، ص370-371)

ولم يبتعد السيد جعفر أبو طبيخ، شقيق السيد محسن أبو طبيخ، كثيراً عما جاء في آراء بقية زعماء الثورة، فقد كتبَّ بأنَّ مطالب الشيوخ الوطنيين بالاستقلال والإيفاء بوعد الجنرال مود السابق عندما دخل بغداد في عام 1917، بأن بريطانيا جاءت محررة وليست فاتحة(حسان، 2008، ص41-45)، فضلاً عن سياسة البطش التي اتبعها الحاكم البريطاني أرنولد ولسن، بتحريض من بعض الافندية وشيوخ العشائر الذين عدّهم السيد جعفر أبو طبيخ خائنين للبلاد راكضين وراء مصالحهم ونفوذهم وذكرَّ بأنَّ كوكس قد تمكن من كسبهم لصالح بريطانيا من قبل وشراء ذممهم هو والمس بيل(أبو طبيخ، 2001، ص92). وفيما يتعلق بتلك الوعود، يمكن القول بأنها كانت أسلوباً من أساليب الدعاية السياسية التي استخدمتها بريطانيا في الحرب العالمية الأولى قاصدة بها اجتذاب العرب إلى جانبها ضد العثمانيين، ولم تعلم أن تلك الوعود ستستخدم سلاحاً ضدها بعد انتهاء الحرب. وتماشياً فيما ذكره قادة الثورة، كان رأي السيد علي جودت الأيوبي بعيداً عما ذهب إليه الآخرون، فقد كتبَّ قائلاً: "بأنَّ انتشار الوعي الوطني في العراق يعزّزه نشاط الجمعيات ورجال الثورة في سوريا وبعض الأقطار العربية، كانت السبب في اندلاع الثورة"(الحسني، 1426هـ، ص372). والاغرب من ذلك ما ذكره تحسين العسكري بأن الفضل الكبير يرجع إلى جمعية العهد في سوريا واتصالاتها مع شبيهتها

في الموصل في نضوج فكرة المقاومة المسلحة، ومن ثم ظهرت بوادر الثورة في الفرات الأوسط(العسكري، 1938، ص95). ولعلنا لا نوافق على الرأي الذي ذهب إليه الأيوبي والعسكري، وذلك لأنه وبدون تجرد لم تسجل أحداث الثورة منذ قيامها وحتى انتهاء احداثها أي دور يذكر لأصحاب جمعية العهد أو مناطق شمال العراق، وحتى إذا اخذنا بنظر الاعتبار الحركات التي وقعت في تلك المناطق قبيل اندلاع ثورة العشرين فإنها لا تمت بصلة بتاتاً بما حدث في الفرات الأوسط، وقد بيّن ذلك جميع من اشترك في الثورة في مذكراتهم الشخصية، وحتى في اجابتهم للسيد الحسني وكذلك لمزهر الفرعون، والأغرب ما في الأمر هو محاولة البعض جرَّ الثورة عن أحداثها الواقعية، ومحاولة إلصاق بعض قطع الغيار الصدئة في قلب تاريخ الثورة العراقية، لأنه لا ينكر أحد ما لمثقفي بغداد والموصل وحتى بعض الزعماء من مناطق الشمال من مواقف معارضة للبريطانيين، ولكن لا تمت بصلة لثورة الفرات الأوسط، ولم نجد أي دلائل واقعية تثبت خلاف ذلك، وحتى الدكتور كمال مظهر أحمد عندما كتب عن دور الأكراد في ثورة العشرين حاول قدر الإمكان إعطاء دور لهم في ثورة العشرين ولكنه لم يعتمد على أي سند شعبي أو رسمي في ذلك، لذا نجد الحقيقة التاريخية قد حرفت عن مسارها الصحيح في هذا الجانب، وقد دلل الدكتور كمال بنفسه عما ذهبنا إليه في الكثير من المواقف، سوف أضرب صفحاً عن ذكرها جميعاً تجنباً للإطالة، فقد ذكر الدكتور كمال بأن بريطانيا بذلت جهود كبيرة في عزل المنطقة الكردية وعدم مشاركتها في ثورة الفرات الأوسط، وقد نجحت في مسعاها، ثُمَّ أردف قائلاً: "وهناك عامل مهم آخر لعب دوره في عدم انتقال الحراك الجماهيري الكردي ومشاركته للعرب...، لأنه لا يوجد هناك أي اتصال بين قادة ثورة العشرين والمنطقة الكردية"، وهذا دليل أخر يعطي الانطباع بأن المنطقة الكردية كانت بمعزل عن أحداث الثورة وتطوراتها، وأضاف "إنَّ العديد من الوطنيين الأكراد وقعوا فعلاً تحت تأثير الدعاية البريطانية التي أشاعتها آنذاك فيما يخص الطابع القومي والديني لثورة العشرين، ولهذا السبب [بحسب اعتقاده] ظلت فورة المناطق الكردية عفوية على الأغلب، وغير منظمة ومتباعدة الحلقات..."، وفي صفحة أُخرى كتبَّ يقول: "على الرغم من كل هذا الزخم فإنَّ قيادة الثورة في بغداد ومدن الفرات الأوسط ظلت معزولة عن المنطقة الكردية".(أحمد، 1978، ص148،146، 149، 152) وإذا أردنا أن نعقب على ما كتبه الدكتور كمال نجده يؤكد بنفسه بأن بريطانيا نجحت إلى حدٍ ما في اقناع الاكراد بأن الثورة في الفرات الأوسط والجنوب ما هي الا معارضة قومية تخص العرب وحدهم، وانها ذات طابع ديني –شيعي- بحت، لذا اقنعت الاكراد بالابتعاد عنها وعدم المشاركة فيها، وهذا بحد ذاته تأكيد أخر يمكن أن نضيفه إلى العوامل التي أكدها الكاتب بذاته بأن الاكراد لم يشتركوا في الثورة وأن بعض القلاقل كانت في مناطق متفرقة لم ترتق لمستوى الثورة، لا سيما وأن الكاتب نفسه قد وصفها بالحراك الجماهيري الكردي مرة، وبالفورة الجماهيرية مرة أخرى. ولعلنا نجد فيما كتبه الفياض بهذا الصدد دلالة تؤكد ما ذهبنا إليه، إذ أكد في بداية حديثه عن الثورة ما نصه "وليس غريباً أن نجد ثورة العشرين التي نحن بصدد تدوين تاريخها تقوم في الدرجة الأولى على اكتاف سكان بغداد والفرات الأوسط وبعض مناطق ديالى والفلوجة، بينما نجد اسهام سكان شمال العراق فيها كان ضئيلاً إنْ لم يكن معدوماً"(فياض، 1975، ص43). ولم يقتصر الأمر على الفياض فقط، فقد ذكر القصاب في مذكراته بأن نار ثورة العشرين قد سرت في جميع مناطق الديوانية والحلة وكربلاء والمنتفق وديالى، باستثناء الكوت والعمارة وكركوك وأربيل(القصاب، 2007، ص176)، وهذا الكلام على ما يبدو يعطي دلالة أخرى تؤكد على عدم اشتراك المناطق الشمالية في ثورة العشرين. ويبتعد إلى حدٍ ما السيد جلال بابان عن فكرة الأخرين، فقد حدد في إجابته للسيد عبد الرزاق الحسني بتاريخ 9 شباط/ فبراير 1952 بعض النقاط التي أسهمت في قيام الثورة، فقد كتبَّ له باسهاب عن جملة من الأمور نقتطف منها العبارة

الآتية "عندما وقعت الحرب العالمية الأولى كانت هذه من أهم العوامل المؤثرة لظهور الحركة القومية في البلاد العربية[...]، وقيام الثورة العربية الكبرى التي تقبلتها الأقطار العربية أحسن قبول، لما فيها من أثر في تحقيق الآمال التي كانت تصبو إليها بوجه عام[...]، وعندما انتهت الحرب العالمية الأولى بفوز الحلفاء، وما ظهر من عوامل النكول من قبلهم في تحقيق أماني العرب، وعدم الوفاء بالعهود، رغم ما كان من بيان الجنرال مود إلى العراقيين عند دخوله بغداد، بأنهم جاؤوا العراق محررين لا فاتحين، ورغم ميثاق [مبادئ] الرئيس ويلسن، وما قطعه الحلفاء على أنفسهم من وعود[...]، ولدت هذه النتائج التذمر الكلي في النفوس في كافة الأقطار العربية وبالأخص العراق الذي كان له من شواهد الماضي في ثوراته المتوالية ونزعته الاستقلالية إبان الحكم العثماني، وعدم رضوخه للحكم الأجنبي، لما جبل عليه من عزة نفس وكرامة وطنية[...]، ولهذه العوامل ونتائجها شعر العراقيون بأن من واجبهم العودة إلى الجهاد والتضحية في سبيل حريتهم، والوصول إلى أهدافهم لتحرير العراق واستقلاله". (الحسني، 1426هـ، ص374) ولعل أنصع صورة هي تلك التي رسمها لنا السيد محسن أبو طبيخ في كتابه "المبادئ والرجال" عندما كتب عن اجتماعهم مع ولسن(العسكري، 1938، ص45)، قائلاً: "إنَّ ولسن كان يعتقد أن نجيبه بقبول حكمهم"، لكن الزعماء(أبو طبيخ، 2001، ص94)، أجابوه بما يلي "إنهم يريدون حكومة عربية مستقلة يرأسها أحد انجال جلالة الملك حسين شريف مكة، وفيما بعد وقعوا على طلب بذلك الخصوص باستثناء السيد هادي الرفيعي، نقيب أشراف النجف"(فياض، 1975، ص211-212)، الذي انفرد بطلب بقاء الحكم البريطاني المباشر(أبو طبيخ، 1938، ص26-27). وهذا الأخير كان معروفاً بميوله لصالح البريطانيين لذا لم نجد أي دواعي للتعليق على ذلك. وعلى الرغم مما زعم البعض به من المؤرخين "بأنَّ الثورة كانت عفوية"، وقد قامت بها بعض عشائر الفرات الأوسط لضمان بعض المصالح الشخصية، إلا أن هناك بعض الدلائل التي تفند ما زعم به أولئك الكُتّاب، فبحسب ما جاء في كتاب أحمد كامل أبو طبيخ، إنَّ بعض زعماء العشائر ووجهاء بعض المدن في كربلاء والنجف الأشرف والديوانية والسماوة، إلى جانب رجال الدين، قد عقدوا عدة اجتماعات دورية في مدينتي النجف وكربلاء، ولعل أهمها الاجتماع الذي عقدوه في 4 آيار/ مايو 1920 بدار السيد أبو القاسم الكاشاني الملاصق للصحن الحسيني الشريف في منطقة باب السدرة، وفي ذلك الاجتماع أقسموا على الإخلاص لقضيتهم التي اجتمعوا لأجلها وهي العزم على مواجهة القوات البريطانية وتحرير البلاد.(الحسني، 1426هـ، ص134)(أبو طبيخ، 2001، ص100)

ثُمَّ جاء الاجتماع الثاني والأهم في دار حجة الإسلام محمد تقي الحائري الشيرازي، وفيه طلب المجتمعون إذن الشيرازي ومباركته للقيام بثورتهم ضد البريطانيين، غير أن الشيرازي أبدى في بادئ الأمر بعض التحفظات خشية على أرواح أبناء القرى والأرياف(الوردي، 2013، ص137)، وكذلك خوفاً على ضياع الأمن في البلاد، غير أنه بعد أن أخذ العهود منهم على حفظ الأمن العام في البلاد تعهدوا إليه بذلك، فقال لهم "إذا كانت هذه نيتكم وهذه تعهداتكم فالله في عونكم"، وبهذا الكلام دلالة شرعية للقيام بالثورة، إذ عُدّت كلمة الشيرازي بمثابة الفتوى الأولى للقيام بالثورة، وهذا بلا شك يفند ما زعمَ به الأخرين بأنَّ الثورة تفتقد إلى الشرعية.(الحسني، 1426هـ، ص99-100)(أبو طبيخ، 2001، ص101) وبعد عقد اجتماع الزعماء في دار السيد نوري الياسري في 16 شعبان 1338 هـ / 5 آيار/ مايو 1920، أي بعد زيارة النصف من شعبان بيوم واحد، توجه الحاضرون لإداء القسم داخل الصحن الشريف للإمام الحسين (ع) وهناك أقسموا اليمين للإخلاص بالعمل للثورة والوفاء لها(أبو طبيخ، 2001، ص101). ويمكن أنْ نضيف تأكيداً آخر لِما ذهب إليه الثوار وهو مطالبهم بالاستقلال وليس المصالح الذاتية، فبعد اندلاع الثورة طلب الميجر نوربري Norbury حاكم لواء الشامية والمشخاب لقاء زعماء الفرات الأوسط في مضيف الشيخ مرزوك آل عواد قرب الشامية، ولما حضر

الزعماء، تفاجأ الحاضرون بمجيء حاكم الشامية العسكري الكابتن مين Men على رأس قوة عسكرية ينوي القبض عليهم أو البطش بهم، لكنه غيّر من رأيه بعد أن لاحظ كثرة عددهم وسلاحهم، ولما سألوه عن الميجر نوربري الذي لم يحضر كما كان متوقع، أجابهم: "إنه تأخر لأمر هام، وأرسلني لمقابلتكم"، وبلا شك أنه لم يقل الحقيقة كلها، إذ كان يضمر العداء لهم وجاء لتطبيق آمر آخر، وهو القبض عليهم وإيداعهم السجون، وهي عادة اتبعها البريطانيون مع بعض زعماء العشائر، ومع ذلك يبدو أن الحاضرين كانوا أذكى منهم فقد أجابوه: "أخبره بأننا نريد الاستقلال كما بينا في مذكراتنا السابقة، وإلا سترون منا العجب!"، فقال لهم: "إنكم تقاومون دولة عظمى"، فردوا عليه "لسنا كالهنود، إننا نريد إجلاءكم من مناطق الفرات الأوسط كافة حتى بغداد، ونريد تشكيل حكومة وطنية تحكم البلاد". (أبو طبيخ، 2001، ص103) (علي كمال الدين، 1986، ص62) وفي ذلك الخطاب تتجلى الصورة أكثر وضوحاً بأنَّ ما قام به العراقيون في أواخر حزيران/ يونيو 1920 كان مخططاً له مسبقاً، وأُعدت له الاجتماعات ووضعت له الخطط، لذا لم يكن من الانصاف أنْ نحكم على ثورة قام بها أبناء بلد من أجل التحرر والاستقلال للتخلص من نير الاستعمار، بأنها أعمال عفوية قامت لتغذية مصالح ذاتية. ويمكن أن ندلل على ذلك من خلال النتائج التي أفرزتها ثورة العشرين في العراق.

المبحث الثالث: نتائج ثورة العشرين من وجهة نظر زعماء الثورة وقادتها

استمرت الثورة قرابة خمسة أشهر استخدمت فيها بريطانيا مختلف الأسلحة والسبل بغية اخمادها، فضلاً عن صمود أبناء العشائر ومقاومتهم لجيوش أكبر امبراطورية عرفها العالم آنذاك، إلى جانب الدافع الديني الذي لعب دوراً رئيساً في حث الثوار على مقاومة المحتلين، ويعزو الكثيرون أسباب نهاية الثورة دون الصمود بوجه البريطانيين إلى النهاية إلى فقدان التكافؤ بين الطرفين، ومع ذلك يكاد لا يختلف قادة الثورة في النتائج التي حققتها ثورة عام 1920 في العراق، ويبدو أنَّ هناك اتفاق في الآراء بين الكثيرين على انها كانت تُعد الرحم الذي انبثقت عنه الدولة العراقية الحديثة في عام 1921، فلولا تلك الثورة واستماتت أبناء العشائر في قتال بريطانيا لما قامت الأخيرة في منح العراق الحكم الوطني، وإن كان قد اتصفَّ إلى حدٍ ما بالاستقلالية، إلا انه مهدَّ لقيام دولة ذات سيادة فيما بعد، فقد عُدَّ التغيير النسبي الذي طرأ على السياسة البريطانية تجاه العراق من أهم ما حققته الثورة العراقية. ولعل فيما كتبه زعماء الثورة دلالة واضحة على ذلك على الرغم من الاختلاف والتباين الواضح في الآراء. فقد أعتقدَّ الشيخ محمد رضا الشبيبي إنَّ أبرز ما انتجته الثورة إنها غيّرت الاعتقاد السائد بين العراقيين بخصوص شجاعة البريطانيين وإمكانياتهم، فقد ظلَّ الكثير يرى فيهم الجبن والخداع، وإن مواجهتم باتت من الأمور السهلة والهيّنة لديهم(الشبيبي، 2011، ص317)، وهذا الأمر أكدته المس بيل في تقاريرها أيضاً، فقد كتبت بهذا الصدد أن البعض من القبائل شاهدت انسحاب القوات البريطانية أمام بعض الأحداث السابقة في العراق، فأصبحت لديها قناعة استنهاض الهمم ضد البريطانيين(بيل، 1949، ص154-155)، أما جواب محمد رضا الشبيبي لفريق مزهر آل فرعون عن نتائج الثورة فقد جاء مقتضباً جداً جاء فيه "إنها لم تحقق نتائج آنية في وقتها".(الفرعون، 1952، ص575-576) وفي مكان أخر ذكر الشبيبي بأن الدولة الجديدة التي تشكلت في اعقاب الثورة كانت "مستقلة ذات سيادة في الظاهر، ولكنها لم تكن كذلك في الواقع، فالاستقلال كان ملوثاً أو ناقصاً نقصاً فاضحاً، بل كان الحكم ثنائياً بين البريطانيين وبين البعض من صانعيهم واعوانهم". ومن خلال ذلك يظهر أن الثورة لم تحقق أهدافها كلها، كما رسم له الثوار، وأن الثمرة التي نتجت عنها كانت مبتسرة لأن الحكومة التي تمخضت عنها الثورة كانت واجهة يكمن وراءها الانتداب البريطاني.(فياض، 1975، ص362)

كما أيد ذلك القول الكاتب السوفيتي كوتلوف الذي اعتقد بأن الثورة العراقية لم تحقق جميع أهدافها التي سعى من اجلها الثوار، فمطاليبهم المتمثلة بالانسحاب وكذلك المطالبة بالاستقلال التام، لم تكن مقبولة من قبل البريطانيين، ولم ينل العراق السيادة الكاملة.(كوتلوف، 1975، ص191)

ونجد في جواب الشيخ عبدالواحد الحاج سكر ما يؤيد ما ذكرناه أعلاه، فقد قال: "لم نحصل من الثورة إلا على حكم يسمونه وطنياً، ولو سألتني هل حققت الحكومة الوطنية أهداف الثورة لقلت لك إنها لم تحقق من اهدافها كل شيء"(الفرعون، 1952، ص587). بل أنه أعتقد على العكس مما كانوا يتصورونه ما بعد الثورة إذ ذكرَّ بأنَّ الذين ثاروا لم يحصلوا إلا على الضرر، وكان الشيخ عبدالكريم الجزائري يعتقد "بأن الغاية التي قصدناها بنهضتنا ومجازفتنا ما حصلت، فالحالة الدينية والحالة الاجتماعية إلى ضعف بل إلى اضمحلال" (الحسني، 1426هـ، ص390)(فياض، 1975، ص365)، وفي قول الشيخ عبدالواحد والشيخ الجزائري ألف معنى ومغزى. لكن سوادي الحسون، رئيس بني عارض ذكر خلاف ما ذهب إليه البعض، فقد أوضح بأن من أهم نتائج الثورة هو تشكيل الحكومة الوطنية، بينما أكد السيد عبد الكريم الجزائري بأنَّ الثورة قد وضعت الحجر الأساس في تشكيل حكومة عربية إسلامية. ولم يبتعد عن هذا الرأي حجة الإسلام محمد جواد صاحب الجواهر أيضاً.(الحسني، 1426هـ، ص378-381)(فياض، 1975، ص584) أما ناجي شوكت فقد ذكر "إنَّ كيان العراق الحاضر بني على دعائم الثورة، كما أن العراق مدين بوحدته الوطنية واستقلاله السياسي لهذه الثورة". بينما كانت وجهة نظر علي جودت الأيوبي واضحة بخصوص ذلك، فقد بيّن بأنَّ ما حققته الثورة لا يُعد ولا يُحصى، ولعل انتهاء حكم الاحتلال والانتداب من بعدها وقيام الحكم الوطني وتأسيس كيان العراق السياسي وتطور البلاد سياسياً واجتماعياً ما هو إلا آثار لتلك الثورة. واعتقد السيد جلال بابان بأن ما ناله العراق من مركز سام بين الأمم، وما اكتسبه من وضع دولي فيما بعد هو نتيجة أساسية لتلك الثورة. كما اعتقد البعض بأنه كان للثورة نتائج إيجابية واضحة على الوعي الوطني لدى العراقيين.(الحسني، 1426هـ، ص376،373،371)(حسّان، 2008، ص41)

وذهب الشيخ صلال الموح للقول: "إنها ثورة –بحسب نتائجها- فاشلة إذا ما قيست بالثورات التي حدثت في العالم"، ورجح ذلك القول بالاعتقاد القائم على أنه حينما قال بأنها فاشلة كونها لم تحقق ما قامت من أجله، بل انها خدمت مصالح الأجنبي أكثر من المحلي، معتقداً بأن الحكم الوطني لم يكن بعيداً عن سيطرة البريطانيين، فبعد مجيئ فيصل الأول من لندن إلى الحجاز واتصالهم به ومن ثم جلبه العفو العام لهم من ملك بريطانيا، ما هو إلا دليل واضح على ما يقول بحسب اعتقاده.(الموح، 1986، ص65-66) ويبدو أن تلك الفكرة لم تغب عن ذهن صاحب المذكرات فقد عاد يؤكد مرة ثانية بأن الثورة قد فشلت لأن المستعمر الذي خرج من الباب قد عاد مرة أُخرى من الشباك، ونصب اشخاصاً وصفهم بالأصنام والبيادق إذ كانت تحركهم بريطانيا من وراء الستار، وقد استولوا على مقدرات البلاد ونهب ثرواتها باسم الحكم الوطني.(الموح، 1986، ص85)

وعلى الرغم من سيئات الحكومة التي تشكلت في العراق بعد ثورة العشرين، إلا إن تشكيل تلك الحكومة يمكن عدها نتيجة مهمة من نتائج تلك الثورة، وحدثاً تاريخياً مهماً ليس في تاريخ العراق فحسب، بل كان لها التأثير النسبي على أحداث المنطقة بشكل عام، كما عدت تلك المرحلة نقطة فاصلة بين عهدين في تاريخ العراق الحديث والمعاصر.

الاستنتاجات:

وفق منطق التاريخ وقوانينه، يمكن القول أن من أجج نار الحقد الدفين في نفوس العراقيين والذي أنعكس واضحاً في النشاط المعادي للبريطانيين ومن ثم بروزه بشكل واضح فيما بعد في ثورة العشرين، هو السياسة الفاشلة التي أتبعتها بريطانيا في العراق، وعدم إدراكها لماهية اعراف الشعب العراقي وتقاليده فضلاً عن مدى تأثير الدين ورجالاته على الأمور الداخلية، فضلاً عن بعض التأثيرات الخارجية التي أثرت بنسب متفاوتة إلى حدٍ ما. ومن ملاحظة ما كتبه الأخرون يبدو أن هناك خلط كبير بين أغلب الباحثين فيما يتناولونه بخصوص طبقة المثقفين وبين الفلاحيين، وقود الثورة، فعندما كتبوا عن تأثير بعض الأطراف الخارجية بأنها تركت بصمات واضحة على المثقف العراقي، تناسوا بأن المثقف العراقي على الرغم من رفضه للوجود البريطاني إلى مستوى محدد، إلا أن الفلاح وزعيم القبيلة فضلاً عن رجال الدين والعلماء هم من ثاروا ضد بريطانيا ورفعوا السلاح ضدها وليس سكان المدن، ولعل فيما كتبته المس بيل دليل قاطع على ما ذهبنا إليه، عندما كتبت بأن خطر التعبئة الثورية لم يكن يكمن في بغداد ومثقفيها، وإنما كان منطوياً على القبائل وزعمائها، حيث أن سكان العراق في خارج حدود المدن كانوا يتألفون من جمهرات بدوية أو نصف ذلك، وكانت غالباً ما تبدي مقاومة مستديمة للحكومات السابقة. إنَّ السياسة البريطانية في العراق استهدفت البقاء في تلك البلاد وأن ثورة العشرين كانت من العوامل الرئيسة في تغيير تلك السياسة أو اكسابها مرونة أكثر من ذي قبل في أقل تقدير. وقد يصح القول إذا اعتبرنا بأن ثورة العشرين قد حققت بعضاً من أهدفها إذا اعتبرناها ثورة ضد إملاءات الدول المتحالفة، وأن البذرة غرست عندما قررت بريطانيا إزاء الثمن المروع الذي كلفها إياه إبان الثورة، أن تغير سياستها وتغير معها خططها العسكرية، وقد فسرت ذلك بقولها "إنَّ غاية الحكومة البريطانية كانت دائماً في إنشاء حكومة عربية في العراق". ومن المهم أن نلاحظ هنا أيضاً إن فكرة الاستقلال لم تتبلور في ذهن الفلاح العراقي من قبل بالشكل الذي حدث أيام ثورة العشرين، ومهما بالغنا فإننا لا نكاد أن نتجاوز الواقع في تقدير الفضل الذي تدين له البلاد بأكملها لثورة العشرين، على الرغم من نتائجها الآنية، نتيجة لِما حققته من مكاسب على الصعيد السياسي والاجتماعي والاقتصادي فيما بعد. ولكن مع أهمية ما ذكرناه، فإن عوامل كثيرة أسهمت في خلق الظروف المناسبة للتعجيل في قمع الثورة من قبل البريطانيين، إذ لم تلعب القوات البريطانية الدور الأخير في تحجيم الثورة وحدها، وإنما كان هناك الرجعية لبعض شيوخ العشائر ووقوف العديد منهم لجانب بريطانيا وتخاذلهم لمصالح البلاد، لذا لعبوا الدور الأكبر في وضع النهايات المؤلمة للثورة وقياداتها.

المصادر والمراجع

أولاً:الكتب العربية والمعربة

- أبو طبيخ، السيد محسن. **(1938). المبادئ والرجال**. دمشق: مطبعة ابن زيدون.
- أبو طبيخ، جميل. **(2001). مذكرات السيد محسن أبو طبيخ 1910 – 1960 خمسون عاماً من تاريخ العراق الحديث**. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
- أحمد، كمال مظهر. **(1977). ثورة العشرين في الاستشراق السوفيتي**. بغداد: مطبعة الزمان.
- ـــــ. (1978). **دور الشعب الكردي في ثورة العشرين العراقية**. بغداد: مطبعة الحوادث.
- الأعرجي، حليم حسن. **(2011)**. **الشيخ خوام 1881-1967 الثائر ... الإنسان قصة تحدي التبعية والتعسف في ظل ظروف القهر والتخلف**. ط2. بيروت: دار المحجة البيضاء.
- آل فرعون، فريق المزهر. **(1952). الحقائق الناصعة في الثورة العراقية سنة 1920**

ونتائجها. الجزء الأول. بغداد: مطبعة النجاح.
- البازركان، علي. **(1991). الوقائع الحقيقية في الثورة العراقية**. تحقيق ومراجعة عماد عبدالسلام رؤوف. ط2. بغداد: مطبعة الاديب البغدادية.
- بيل، المس. **(1949). فصول من تاريخ العراق القريب**. تعريب جعفر الخياط. بيروت: دار الكشاف للنشر والطباعة والتوزيع.
- ـــــ. **(1971). فصول من تاريخ العراق القريب**. تعريب جعفر الخياط. بيروت: د. ن.
- **تويج**، عبدالرسول. **(1987). مذكرات الحاج عبدالرسول ـ من رجال الثورة العراقية 1920**. تقديم وتعليق كامل سلمان الجبوري. بغداد: مطبعة العاني.
- الحبوبي، علي فاروق محمود عبدالله. **(2012). محمد سعيد الحبوبي ودوره العسكري والسياسي 1849 – 1915**. النجف: العتبة العلوية المقدسة.
- حسّان، عبد الكريم. **(2008). الملكية في العراق من ثورة العشرين حتى انقلاب 1958 – سيرة الشيخ رايح العطية رئيس عشيرة الحميدات الثائر والسياسي الوطني**. بيروت: الفرات للنشر والتوزيع.
- الحسني، عبد الرزاق. **(1426 هـ). الثورة العراقية الكبرى**. مؤسسة المحبين. قم.
- خيري، سعاد. **(1980). من تاريخ الحركة الثورية المعاصرة في العراق 1920 – 1958**. بيروت: دار ابن خلدون للطباعة والنشر والتوزيع.
- الزاهد، عبد الحميد. **(1987). صفحات من مذكرات عبدالحميد الزاهد**. من المشاركين بأحداث الثورة العراقية 1920. تقديم وتعليق كامل سلمان الجبوري. بغداد: مطبعة العاني.
- الشبيبي، محمد رضا. **(2011). مذكرات الشيخ محمد رضا الشبيبي ورحلاته**. تقديم وإعداد وتوثيق: كامل سلمان الجبوري. بيروت: الرافدين للطباعة والنشر والتوزيع.
- صالح، زكي. **(1953). مقدمة في دراسة العراق المعاصر**. بغداد: مطبعة الرابطة.
- صالح، **(1987). صفحة من مذكرات السيد سعد صالح- أحد رجال الثورة العراقية 1920**. تقديم وتعليق كامل سلمان الجبوري. بغداد: مطبعة العاني.
- العسكري، تحسين. **(1938). مذكرات عن الثورة العربية الكبرى والثورة العراقية**. ج2. النجف: مطبعة الغري.
- علي، عباس. **(1950). زعيم الثورة العراقية- صفحات من حياة الزعيم العظيم السيد الصدر**. بغداد: مطبعة النجاح.
- العمر، عبدالجبار. **(1983). محاكمات سياسية مثيرة أمام القضاء العراقي- مصرع الكولونيل لجمان**. بغداد: دار القادسية للطباعة.
- العمر، فاروق صالح. **(2013). ثورة أكتوبر البلشفية لـ1917 وتأثيرها في أوربا-تركيا-العراق في ضوء الوثائق البريطانية**. بيروت: مطبعة البصائر.
- العمري، محمد طاهر. **(1925). مقدرات العراق السياسية**. ج 3. بغداد: المطبعة العصرية.
- فراتي. **(1952). على هامش الثورة العراقية الكبرى- خواطر وتعليقات مستمدة من الواقع المرئي والمسموع عن الثورة العراقية لسنة 1920**. بغداد: شركة النشر والطباعة المحدودة.
- فياض، عبدالله. **(1975). الثورة العراقية الكبرى سنة 1920**. ط2. بغداد: مطبعة دار السلام.
- القصاب، عبد العزيز. **(2007). مذكرات عبدالعزيز**. إعداد وتحقيق خالد عبدالعزيز القصاب. بيوت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

- كمال الدين، سعيد. **(1987). صفحاتٌ من مذكرات السيد سعيد كمال الدين- أحد رجال الثورة العراقية 1920**. تقديم وتعليق كامل سلمان الجبوري. بغداد: مطبعة العاني.
- كمال الدين، حسين. **(1987). صفحاتٌ من مذكرات السيد حسين كمال الدين- أحد رجال الثورة العراقية 1920**. تقديم وتعليق كامل سلمان الجبوري. بغداد: مطبعة العاني.
- كمال الدين، محمد علي. **(1971). معلومات ومشاهدات في الثورة العراقية الكبرى لسنة 1920**. قدم له علي الخاقاني. بغداد: مطبعة التضامن.
- كمال الدين، محمد علي. **(1986). مذكرات السيد محمد علي كمال الدين. من رجال الثورة العراقية 1920**. تقديم وتعليق كامل سلمان الجبوري. بغداد: مطبعة العاني.
- كوتلوف، ل. ن. **(1975). ثورة العشرين الوطنية التحريرية في العراق** ،ط2. تعريب عبدالواحد كرم ومراجعة عبد الرزاق الحسني. بيروت: دار الفارابي.
- **العصامي، موسى. (2019). مذكرات العلامة الشيخ موسى العصامي 1305-1355 هـ المعروف بـ تاريخ الثورة العراقية** . اعداد وتقديم كامل سلمان الجبوري. بيروت: مؤسسة المواهب للطباعة والنشر.
- الموح، صلال. **(1986). مذكرات الحاج صلال ـ من رجال الثورة العراقية 1920**. تقديم وتعليق كامل سلمان الجبوري. بغداد: مطبعة العاني.
- نظمي، وميض جمال عمر. **(1985). ثورة 1920 الجذور السياسية والفكرية والاجتماعية للحركة القومية العربية "الاستقلالية" في العراق**. ط2. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.
- النفيسي، عبدالله. **(1973). دور الشيعة في تطور العراق السياسي الحديث**. بيروت: دار النهار للنشر.
- هولدين. **(1965). ثورة العراق 1920**. تعريب فؤاد جميل. بغداد: مطبعة الزمان.
- الهيمص، عبود. (1991). **ذكريات وخواطر عن أحداث عراقية في الماضي القريب**. بغداد: مطبعة الراية.
- الوردي، علي. **(2013). لمحات إجتماعية من تاريخ العراق الحديث**. الجزء الخامس. القسم الأول. بيروت : دار الراشد. ط2.

ثانياً: المجلات والصحف العربية

- أحمد، كمال مظهر. **(1976)** . **حقائق أخرى عن مؤتمر شعوب الشرق**. مجلة أفاق عربية. العدد 12. آب/ أغسطس.
- مجلة أفاق عربية. (1976). بغداد. العدد 3. تشرين الثاني/ نوفمبر.

The Twentieth Revolution in the Memoirs of the Revolutionary "Leaders and Men "Causes and Consequences – Criticize and Reconstruct -

Abstract:

After the political settlements after the First World War resulted in the imposition of the British Mandate on Iraq, this decision became disappointing for the Iraqis, and a demonstration of Britain's perjury, with its previous promises to Iraq of freedom and independence, as well as statements by other allies countries to give peoples the right to self-determination.

Therefore, the end of that war and the clarity of Britain's position except for the Arab hopes for sovereignty, that some movements opposed to the British in the areas close to Iraq, as well as the role of Iraqi intellectuals in preparing minds for liberation and demanding independence, in addition to the clerics and tribal leaders supporting the anti-British feeling, In addition to other reasons, the Iraqi people believed that it was inevitable that force should be used as a last attempt to compel Britain to change its attitude towards the Iraqis' hopes of obtaining sovereignty and independence, so the result was the outbreak of the Great Iraqi Revolution in 1920.

Key words: Iraq, memoir, revolution